فنُّ الخاطرة في "كلمات" عصام العطَّار: تَحْليلٌ ونقدٌ

الأستاذ الدكتور مصطفى محمد رزق السواحلي
الأستاذ بكلية اللغة العربية
جامعة السلطان الشريف علي الإسلاميَّة
سلطنة بروناي دار السلام

ملخص البحث

يتمتَّعُ الأستاذ المُرَبِّي "عصام العطَّار" المولود بدمشق عام (1927م)، والذي يعيش حاليًا في ألمانيا منذ قرابة نصف قرن بجُمْلة من المواهب الأدبيَّة؛ فهو شاعرٌ كاتبٌ خطيبٌ من طراز فريد، وهو من القلائل الذين جمعوا بين البراعة الأدبيَّة والزعامة السياسيَّة، كما جمع بين الثقافتين العربيَّة والغربيَّة، مُتميزًا بموقفه الوسط بين الانفتاح المُفْرِط، والانغلاق المُنْعزل.

وكلماتُه التي كانت تُنْشَر في مجلة "الرائد" والتي جُمِعتْ فيما بعد في كتاب من جزأين تُعَدُّ بحقٍّ نموذجًا فريدًا لفنِّ الخاطرة (Notion)، ذلك النوع الأدبيُّ الذي يتَّسِمُ بالإيجاز المُوحِي، ووضوحِ الهدف، وشعريَّة التعبير والتصوير، حتى إنَّه قريب الشَّبه مما يسمِّيه بعض الأدباء اليوم بقصيدة النثر، كما أنَّه يحتاج من الكاتب إلى ذكاءٍ واعٍ، وقوَّةٍ في الملاحظة، ورهافةٍ في الحسِّ، ويقظةٍ في العقل، وامتلاكٍ تامٍّ لأدوات التعبير والتصوير.

وهذا البحث يُعنى في مقدمته ببيان أهم المؤثرات في شخصية الأديب التي صبغتْ أدبَه بصبغةٍ خاصَّة. ثمَّ يُعالجُ في مبحثه الأول: تعريف فن الخاطرة، وأهمِّ سماتِه الجماليَّة، مشيرًا إلى أهمِّ الكتابات الإبداعيَّة التي تنتمي إليه، وأبرز الدراسات النقديَّة التي دارت حوله. ويصفُ في المبحث الثاني كتاب "كلمات" بجُزْأيْه، مبينًا أهمَّ الاتجاهات الموضوعيَّة للخواطر التي يتضمنُّها: العاطفيَّة، والدينيَّة، والسياسيَّة، والاجتماعيَّة... إلخ. ويرسمُ في مبحثه الثالث أهمَّ سمات فنِّ الخاطرة لدى الكاتب من حيث: بنائها اللفظيِّ المتَّسم بالإيجاز والوضوح ودقَّة التصوير وجمال السرد. ومن حيث بنائها الفكريِّ المتَّسم بإسلاميَّة الإطار، وأصالة الرسالة، وتقديم الهمِّ العامِّ على الخاص، ووضوح المغزى. ومن ناحية علاقاتها النصيَّة فهي منفتحة على التراث الدينيِّ والأدبيِّ عربيًّا وعالميًّا.

مُقَدِّمة

يتمتَّع الأستاذ المُرَبِّي "عصام العطَّار" المولود بدمشق عام (1927م)، والذي يعيش حاليًا في ألمانيا منذ قرابة نصف قرن بجُمْلة من المواهب الأدبيَّة؛ فهو شاعرٌ كاتبٌ خطيبٌ من طراز فريد، وهو من القلائل الذين جمعوا بين البراعة الأدبيَّة والزعامة السياسيَّة، كما جمع بين الثقافتين العربيَّة والغربيَّة، وقد شكَّلَتْ شخصيَّتَه، وصبغتْ أدبَه جملةٌ من المؤثرات العامَّة والخاصَّة، ومجموعةٌ من الشمائل المتميزة، أهمها:

1-الأسرة: نُسِل "عصام العطار" من أسرة ماجدة توارثت التدريس والخطابة في الجامع الأمويّ بدمشق، فمن مشاهير أجداده شهاب الدين أحمد بن عبيد الله العطَّار (1138-1218هـ = 1725-1803م) [1] الذي كانت له الرياسة العلميَّة في بلاد الشام، وتولى الخطابة في جامع بني أميَّة، وقد أثنى عليه عبد الرزاق البيطار (1335هـ) قائلاً: «إذا تكلم في التفسير فهو حاملُ رايته، أو أفتى في الفقه فهو مُدْرِكُ غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنِّحَل والمِلَل لم تر أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من حاضرته. فاق في كلِّ فنٍّ على أبناء جنسه، ولم تَرَ عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه. كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسَهُ الجمُّ الغفير، ويرتوون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير». [2]

أمَّا والده الشيخ محمد رضا العطَّار (1290-1373هـ = 1873-1953م) [3] فقد كان من رجالات القضاء الشرعيِّ المعروفين بالعلم والعدل، وهو إلى جوار علمه كان فارسًا شاعرًا ذا ذاكرة واعية يكاد يحفظ سيرة ابن هشام وشعر عنترة، وكان من مناصري السلطان عبد الحميد الثاني، وقد شارك في محاربة الاتحاديين، فحكم عليه بالإعدام، لكنه تنقل بين جبال الدروز، ونفي إلى إستانبول، ثم عاد إلى بلاده بعد الحرب العالمية الأولى، وبقي فيها حتى وفاته.

وأمَّا أمُّه فقد كانت سيدة فاضلة على جانب كبير من الدين والعلم، وكانت دائمًا تنشد لولدها:[4]

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَت عِصاما * وَعَلَّمَتْهُ الكَرَّ والإِقْداما**

وهو دليل على أنَّ دماء النبوغ والمجد تجري في عروقه، وإن كان لم يعتمد يومًا إلا على نفسه، فسار لغاية واضحة، تحدوه مبادئ سامية لا يبغي بها بدلاً، ولا يجدُ عنها حِوَلاً، حتى إنَّ أخته "نجاح العطار" التي عملت وزيرة للثقافة في سوريا على مدار ربع قرن (1976-2000م)، ثم عينت نائبة للرئيس السوري للشئون الثقافيَّة والإعلامية منذ عام 2006م حتى الآن قد توسَّطت لعودته، فطلبوا منه العودة مرارًا، لكنَّه أبى.

---

(1) البيطار، عبد الرازق بن حسن الدمشقي. (1993م). **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**. ط2. بيروت: دار صادر. 239/1-241. الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي. (2002م). **الأعلام**. ط15. بيروت: دار العلم للملايين. 166/1.

(2) البيطار، عبد الرازق. **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** (مرجع سابق). 240/1.

(3) انظر ترجمته في: البابطين، عبد العزيز سعود. **معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين**، على الرابط (آخر زيارة 2017/10/31م): http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=6400

(4) يُنْسَب هذا الرجز عادةً إلى النابغة الذُّبْيانيّ، ولكنَّه ليس في النسخ المسندة المحققة من ديوان النابغة، والأرجح أنه من قول عصام بن شهير الجرميّ نفسه، وكان قد وصل إلى بلاط النعمان بن المنذر بملكاته البيانية لا بمجد أسرته. ينظر: الضَّبِّيّ، المفضَّل بن محمد. (1983م). **أمثال العرب**. تحقيق: إحسان عباس. ط2. بيروت: دار الرائد العربي. ص167.

2–أحداث العصر: ولد "عصام العطار" في خضمِّ الثورة السوريَّة التي اندلعت شرارتها عام 1925م، وأدت إلى توقيع معاهدة بين سوريا والمحتل الفرنسي عام 1936م، وتُوِّجتْ بخروج فرنسا نهائيًّا من البلاد عام 1947م. وقد عاش في فترة حَرِجَة في التاريخ السوريّ؛ فقد كانت تعجُّ بالثورات والانقلابات العسكريَّة، وشهدت الوحدة مع مصر ثم الانفصال عنها، وشهد مرحلة تقلبَّت فيها الحركة الإسلاميَّة بين الازدهار والانكسار، كما عاصر ميلاد دولة البَغْي "إسرائيل"، ورأى كيف جاس الغزاة خلال الديار، وكيف دنَّسوا المسجد الأقصى، وكان على طرف الثُّمام من مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك، وتألَّمَ لمآسي المسلمين في أفغانستان والشيشان والصومال وكلِّ مكان يذل فيه المسلمون، أو يتقاتل فيه المتحزِّبون المتصارعون، وعاش مع كثير من ذوي الزعامات الوطنية ما بين مخلص صادق وكذاب مائق، ورصد بعينيه الثاقبتَيْنِ كيف لمعتْ في سماء المنطقة بوارق خاطفة للوحدة والعزة والكرامة، ثم تلتها هزائمُ محبطةٌ، وسقطات مروِّعة، وانتحار جماعي لمشاريع النهضة المأمولة.

3–الثقافة الموسوعيَّة: حفظ "عصام العطار" في صغره القرآن الكريم، وألفيَّة ابن مالك، ومتن الزُّبَد في الفقه الشافعي، لابن رسلان، وقرأ وهو شاب شرح القَسْطَلانيّ لصحيح البخاري وفَهْرَسَهُ وعلَّق عليه، كما حفظ كثيرًا من الشعر الجاهلي وبخاصة شعر عنترة، بل قرأ سيرة عنترة بن شداد التي تقع في ثمانية مجلدات.

ولم يكتف بهذا الزاد التراثيِّ الضخم، فضمَّ إليه القراءة لكبار الأدباء العرب من أمثال: مصطفى صادق الرافعي، وطه حسين، وعباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات، وزكي نجيب محمود... وغيرهم. كما قرأ كتبًا في الفلسفة الوضعية المنطقية، وكتبًا علميةً صِرْفَة، ومؤلفاتٍ لكُتَّاب يختلف معهم كُليًّا في أفكارهم مثل: فؤاد صرُّوف، ويعقوب صرُّوف، وسلامة موسى، وشبلي شميل... ناهيك عن مشاهير فلاسفة العالم مثل: سقراط وأفلاطون وأرسطو وداروين ونيتشه... وغيرهم؛ مما أعطاه زادًا ثقافيًّا متميِّزًا بالثراء والتنوُّع.

وقد تعرف على "محمود شاكر" في مصر، وقال عنه في مراجعاته بقناة الحوار: «هناك أناسٌ مثل الكتاب المطبوع الجميل ولكن منه آلاف النسخ، وآخرون مثل المخطوط النادر الذي منه نسخة واحدة ولو كانت مخرومة فهي فريدة، محمود محمد شاكر كان تلك النسخة الفريدة».

ناهيك عن علاقته المتميزة بأعلام الفكر والأدب والدعوة من السوريين على رأسهم صهره "عليّ الطنطاويّ"، وأستاذه "أحمد راتب النفاخ"، والفقيه البارع "مصطفى الزرقا"، والمحدث "ناصر الدين الألباني"... وغيرهم.

4–الفضائل النفسيَّة: فقد تمتع "عصام العطار" بجملة من الفضائل النفسية التي لا تكاد تجتمع إلا في شخصيَّات نادرة، منها:

=الشجاعة، حيث ورثها كابرًا عن كابر، فقد ذكر عبد الرزاق البيطار في ترجمته لجدِّه شهاب الدين العطار: «ولَّما تغلب الفرنج على مصر، ومشوا على الساحل، ووصلوا إلى صفد وبلاد نابلس عام ألف ومائتين وأربعة عشر شمَّر عن ساق الاجتهاد، ودعا الناس إلى الجهاد، وحرَّضهم عليه، وخرج مع عسكر من دمشق مجاهدًا بنفسه وماله وأولاده، حتى التقى الجمعان، وكان هو في الصفوف مقابلاً للعدو وهو يحرِّض الناس على القتال ويبين ما لهم من الثواب والأجر، ولم يزل على طاعته، وحسن عبادته، إلى أن توفي». [1]

(1) البيطار، عبد الرزاق. **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**. (مرجع سابق). 241/1.

أمَّا الحفيد البارع فقد كان يخطب في مسجد الجامعة وهو شابٌّ في مطلع العقد الثالث من عمره، وبين يديه عشرات الألوف، وقد تعوَّد أن يُهاجم الحاكم في الخطبة هجومًا شديدًا، بسبب الظلم والاستبداد، مما حمل الحكومة على أن تضعه تحت الإقامة الجبريَّة مدة يسيرة بسب شعبيته الجارفة، فالتقى به الفريق "لؤيّ الأتاسي" وعدد من كبار الضباط، واعتذروا عن سوء التفاهم بسبب موضوع الإقامة الجبريَّة، فرد "العطار" قائلاً: «نحنُ على استعدادٍ لأنْ نمشي إلى الموت والسجن بنفس الخُطَا التي تمشون بها إلى القصر؛ لأنَّ القوة عندما تنفصل عن الحق يتحول أصحابها إلى قُطَّاع طرق، وأنا لا أهابُ قُطَّاع الطُّرق»، فابتسم الفريق الأتاسي وقال: أنت صاحب أشرف موقف في هذه البلاد، أنت صاحب أعلى صوت في نقد الدكتاتورية والاستبداد والمطالبة بحقوق الإنسان.

وقد كلَّفته هذه الشجاعة كثيرًا من التضحيات، لكنَّه يؤمن أنَّ حياة الذلِّ هي والموت سواء، فمضى لا يبالي بفلول المنهزمين، ولا بالجمال التي اسْتَنْوَقَتْ، ولا بالرجال الذين فقدوا فحولتهم في مراحيض البغاء الفكريِّ والسياسيِّ، والذين باعوا أنفسهم في أسواق النخاسة بثمن بخس دراهم معدودة.

=الزهد في المناصب: عُرِضَ عليه في شبابه أن يكون سفيرًا مرة، ووزيرًا مرة، ونائبًا لرئيس الوزراء، بل رئيسًا للوزراء، ولكنَّه أبى؛ لأنَّه يريد أن يبقى عمله الإسلاميُّ لله، بعيدًا عن الشهرة والأضواء الإعلاميَّة، وبعيدًا عن تكاليف المنصب التي تفرض عليه مواءمات لا تتفق مع شخصيَّته الصلبة.

وهو موقف ليس وليد وهن الشيخوخة، فقد أعلنه وهو في ريعان شبابه؛ إذ قال في أحد أحاديثه الصحفية عام 1962م: «أمّا الوزاراتُ والمناصب، فالحاكمون يعلمونَ كما يعلمُ الشعب أَنّني لا أُفكِّرُ فيها ولا أَقبلُ بها، وأَنّني قد رفضتُ الاشتراكَ في هذه الحكومة عند تأليفها أوّل مرّة، كما رفضتُ الاشتراكَ في الحكومة الدُّستوريّة التي سبقتها، وأنّ مكاني الذي اخترتُه لنفسي هو أنْ أخدمَ دعوتي وأُمّتي على الصعيد الفكريِّ والشعبيِّ». (1)

وفي عام 1963م قال مُعَلقًا على "خالد العظم" الذي تولى الوزارة غير مرة بقوله: «يقول السيد خالد العظم... إنَّ عصام العطَّار يُؤيّد الوحدة، ولا يؤيّد الانفصال، ولا يقبل الإسهام في استمراره واستقرار حكمه؛ لأنَّ جمال عبد الناصر قد وعده بحكم سورية إذا سقط هذا الحكم! وإلاّ فلماذا رفض عصام العطار، وما يزال يرفض، كلّ ما عُرِض عليه من الوزارات والسفارات؟! (فيعلق عليه بقوله:) مساكين هؤلاء الزعماء الكبار! إنّهم لا يفهمون ولا يُصدّقون أن تكون مواقفُ إنسانٍ ما خالصةً لله عزَّ وجلَّ، ولمصلحة أمته وبلاده، بعيدةً كلَّ البعد عن كلّ مَكْسَب أو اعتبار شخصيٍّ أو سياسيٍّ؛ فأنا قد أكون الزعيم السوريُّ الوحيد الذي رفض قبل الوحدة وأثناءها أن يجامل عبد الناصر بكلمة واحدة، وإن تلاقى معه في بعض المواقف الوطنيَّة والقوميَّة، ورفض أن يسكت عن الأخطاء الفادحة التي وقعت منه أو في عهده، وصبر في ذلك كلّه على كثير من الشدّة والأذى». (2)

=قبول الآخر وإنصافه: يتمتع "عصام العطار" بنزعة إنسانية راقية، تحترم الإنسان من حيث هو إنسان، وتدرك أن اختلاف الرأي مركوز في فطرة البشر، وأنَّه لا ينبغي أن يفسد للود قضيَّة، ولذا رأيناه في أكثر من حوار يدعو إلى المصالح والتحاور مع ألدِّ أعدائه، يقول: «كلُّ حركة إسلاميَّة، أو جماعة إسلاميَّة، أو حزب إسلاميٍّ إنَّما هي جماعة من المسلمين، وليست جماعة المسلمين؛ لأنَّها لو اعتبرت نفسها جماعة المسلمين لرأتْ كلَّ خارج عليها،

---

(1) العطار، عصام. (1999م). **كلمات**. (الجزء الأول). بون: الدار الإسلاميَّة للإعلام. ص17.

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 2/6-7. (بتصرف).

أو عامل خارج نطاقها خارجًا على جماعة المسلمين، بما يستتبعه ذلك من أحكام ومواقف، وما يقود إليه من خصام وصدام، وهو أشدُّ ما يُبْتلى به المسلمون هذه الأيام».[1]

والحقُّ أنَّ الرجل لم يرتكس في حمأة العصبيَّة المقيتة شأن كثير من قادة التيارات الإسلاميَّة، مما حملهم على التقاتل والتناحر، فسفكوا من دمائهم أضعاف ما سفك الأعداء، ولكن "عصام العطار" كان نمطًا فريدًا من رقيّ الفكر، وسعة الأفق، ودماثة الخلق، وقمة التسامح، وحسبك أن تقرأ نداءه إلى الشعب السوريّ عقب اغتيال زوجته "بنان علي الطنطاويّ" محذرًا إياهم من الانتقام العشوائيّ: «إنّني أناشدُ الشعبَ السوريَّ الوفيّ، وأناشد العرب والمسلمين في كلّ مكان: ألاّ يقوم أحدٌ منهم بأيّ عمل انتقاميّ لزوجتي الشهيدة بنان علي الطنطاويّ "أم أيمن" رحمها الله تعالى، فالشهيدة العظيمة ليست إلاّ واحدة من ألوف الشهداء على ثَرانا الطّهور، ونحن نَنْشُدُ العدالة لا الانتقام، وتخليصَ شعبنا كلّه من القيود والأغلال، ومن الظلم والهوان، ومن التصفية الفرديّة والجماعية». فسُئِل: «هل تعتبر العلويين جميعًا مسئولين عن جريمة اغتيال زوجتك الشهيدة "أم أيمن"؟ فقال: كيف أعتبرهم جميعًا مسئولين والله عزَّ وجلَّ يقول: (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)؟ لقد دافعتُ في الماضي، وسأُدافع في الحاضر والمستقبل عن كلّ مواطن بريء من العلويين وغير العلويين كما أُدافع عن بنتي "هادية" وولدي "أيمن"». [2]

=قوَّة الإرادة وعلوّ الهمَّة: لدى الأستاذ عصام العطَّار عزيمة جبارة تتكسر على صخرتها الصلبة قرون الوعول من الخصوم، وأمواج النكبات التي تتوالى ولا تتولى، يقول حسن التل: «يتفرد الأستاذ عصام العطَّار بين زعماء المنطقة بأوصاف ومزايا تميزه عنهم جميعًا، فقد أخذ بالعزيمة في جميع مراحل حياته، ولم يترخَّص في أمر من الأمور على اشتداد تكاليف العزيمة وثقل مسئولياتها، وظلَّ مُتحدِّيًا لكلِّ تبعات هذا التفرد، فلم يوهنه المرض، ولم يضعفه الفقر، ولم تبدله الغربة، بل زادته التحديات الكثيرة ثباتًا وإصرارًا على موقفه، وظلَّ شامخًا في وجه الإرهاب كالجبل الأشمّ الذي يصدُّ الرياح العَوَاتِي، ويستعلي على كلِّ العوادي، كما دار ظهره للفتنة مُسْتَعْليًا على كل متاع الأرض، وآثر الغربة والفقر وفاءً لدينه، والتزامًا بدعوته». [3] وقد تمخَّضتْ هذه العزيمة عن رجلٍ لا يركن إلى الراحة، ولا يستلذُّ العيش في الظلال، ولا يرضى بالدُّون، بل يقطع دهره بالعناء المعنِّي والنصب المُنْصب، وهو مرفوعُ الهامة، عزيزُ النفس، مرهوبُ الجناب، لا ينحني إلا لخالقه. والذي يقرأ كلماته يشعر أنه لا يمل من الإلحاح على هذا المعنى، تصويرًا لنفسه من ناحية، وتحضيضًا للشباب على التحلي بهذه الصفة التي صارت أندر من الكبريت الأحمر، يقول عن نفسه: «إنّني أُحِسُّ بالطَّعْنةِ الغادِرَةِ بَعْدَ الطّعنةِ الغادرةِ بين كَتِفَيّ، ولكنّني سأمضي ولا ألتفتُ إلى الوراء، وإذا كُتِبَ عليَّ الهلاكُ يومًا، فسأسقطُ وعيناىَ على الهدف، وقدماىَ على الطّريق». [4] ويقول بعد أن جاوز السبعين: «لو رضيَ أهلُ الأرض كلُّهم أن يضعوا جباههم في الرَّغام؛ لأبَتْ هذه الجبهة إلاّ أن تكون في السماء». [5]

---

(1) التل، حسن. (1983م). **عصام العطار الزعامة المميزة**. عمَّان: دار اللواء للصحافة والنشر. ص36.

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 14/2-15. والآية المقتبسة من سورة الأنعام، الآية 164.

(3) التل، حسن. **عصام العطار الزعامة المميزة**. (مرجع سابق). ص3.

(4) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 36/1.

(5) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 33/2.

=الثبات: فهو من القلائل الذين لم يتغيروا رغم فداحة الخطوب، والذين لم يهنوا ولم يستكينوا ولم تبعد عليهم الشُّقَّة، ولم يستثقلوا العبء أو مغارم العمل العام لصالح هذه الأمة، بخلاف كثير من المتلوِّنين الذين تعجُّ الساحة بهم، والذين يأكلون على كلِّ الموائد، فهم يقلُّون عند الفزع، ويكثرون عند الطمع، ولا يأبهون بالتلوُّن كالحرباء، ولا بالرَّوَغان كالثعالب، بل قد «يهربون من طاغية ليعيشوا في ركب طاغية آخر... فدواوين الأنظمة الظالمة تعجُّ بهذه الأصناف من الزَّعامات التي لم تتحرج في تبعيَّتها للطاغوت الجديد وخدمته والسكوت على عيوبه وأخطائه ورذائله؛ لأنَّها استكانتْ في مواقعها الجديدة للراحة وبُلَهْنِية العيش، وألقتْ بسلاحها في موكب الطاغوت الجديد، لتكون أداةً من أدواته، وقطعةً أثاث يجمل بها مجالسه، بل وقد تتحول إلى عصا غليظة في يد هذا الطاغوت، يدافع بها عن ظلمه، ويجعلها مخلبًا يحارب بها في معركته».[1]

لكنَّ "العطَّار" كان على النقيض من جميع هؤلاء، فما عرف غير الثبات مذهبًا، ولا التمس طريقًا غير طريق التضحية من أجل الحق الذي يؤمن به، لا من أجل المصلحة التي ينتفع من وراءها؛ لأنَّه يؤمن أن هذه المصانعة قد تضطره إلى أن يصافح أيادي ملوَّثة بالدماء، أو أن يجثو مُسْتَرْحِمًا بين يدي طاغية، أو أن يركن إلى أحد الذين ظلموا، وما على هذا فطر الرجل الذي ارتضع لِبان العزة صبيًّا، وهزَّ بنخلة الكرامة فاسَّاقط عليه جَدْها رطبًا جنيًّا، وشتَّان شتَّان بين ثابتٍ صادقٍ، ومتلوِّنٍ مائقٍ.

5-تعدُّد المواهب الأدبيَّة: يعدُّ "عصام العطار" من القلائل الذين جمعوا ثلاثًا من المواهب الأدبيَّة في آنٍ معًا: الشعر والخطابة والكتابة، فقد عرف «بأنَّه أديب ذواقة، يتقن فن الكلمة المؤثرة، وهو خطيب مُفوَّه من خطباء العربية النادرين في هذا العصر الذي غلبت عليه العجمة وضاع فيه البيان، كما أنَّ له نفثات شعريَّة ضمَّنها نجاوى فكره، وذَوْب نفسه المحترقة لهموم الإسلام والمسلمين، وجاء شعره صورة صادقة له في تواضعه وإبائه وكفاحه المستمر». [2]

والواقع أنَّ الرجل دعم موهبته الفطريَّة بما نهل وعلَّ من القرآن الكريم والحديث الشريف، والأدب العربيّ منذ نعومة أظفاره، إذ حفظ في صباه كثيرًا من الشعر في عصوره المختلفة، فكانت تلك الثقافة الأدبية مَدَدًا لخاطره، وصقلاً لموهبته الفطرية، وصار يجري على لسانه تمثُّلاً واستشهادًا قبل أن تجود به قريحته إبداعًا، فليس مستغربًا أن نجده يستشهد في كلماته بكثير من الشعر القديم الذي تزوَّد به في صباه، فهو يورد قول الحطيئة (ت45هـ): [3]

آثَرْتُ إِدْلاجي عَلى لَيْلِ حُرَّةٍ * هَضيمِ الحَشا حُسَّانَةِ المُتَجَرَّدِ**

وفي حواره مع "عزَّام التميمي" بقناة الحوار قال له المحاور إنَّك عُيِّنت أمينًا عامًا لرابطة مؤتمر علماء الشام عام 1955م وهو العام الذي ولدتُ، فردَّ عليه على البديهة بقول أبي الطيِّب (ت354هـ): [4]

لَيْتَ الحَوادِثَ باعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ * مِنّي بِحِلمي الَّذي أَعطَتْ وَتَجْرِبي**

---

(1) التل، حسن. **عصام العطار الزعامة المميزة**. (مرجع سابق). ص3-5.

(2) الجدع، أحمد عبد اللطيف، وجرار، حسني أدهم. **شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث**. (مرجع سابق). 76/1.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 316/1. وبيت الحطيئة في ديوانه: ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق. (1987م). **شرح ديوان الحطيئة**. تحقيق: نعمان محمد أمين طه. القاهرة: مكتبة الخانجي. ص68.

(4) المتنبّي، أبو الطيب أحمد بن الحسين. (1944م). **ديوان أبي الطيب المتنبي**. تحقيق: عبد الوهاب عزام. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ص447.

فَما الحَداثَةُ مِنْ حِـلْمٍ بِمانِعَةٍ * قَدْ يُوجَدُ الحِلمُ في الشُّبَّانِ وَالشيبِ**

وقد ظهرت أصداء هذا الزاد الثقافيّ جليَّةً في إبداعه بمواهبه الثلاث:

=أمَّا عن ملكة الخطابة فقد ظهرت وهو في المرحلة الابتدائيَّة، إذ كان لا يتكلم إلا العربيَّة الفصحى، وكان المتحدِّث باسم الطلاب في جميع الاحتفالات الرسميَّة، بفضل ما يمتلكه من ملكة بيانيَّة ثرَّارة.

وفي أول لقاء له بالداعية الأديب "عليّ الطنطاويّ" الذي صاهره فيما بعد، قام ذلك الشاب وتكلم بنظرة مخالفة لرأي الشيخ الذي هو ملء السمع والبصر، وبعد نحو دقيقتين من الحديث استوقفه الشيخ, وطلب إليه أن يقف مكانه على المنبر, وأن يجلس مكانه على مقعد الدرس، فأبى العطَّار, واستحيى, فأقسم الطنطاويّ أن يفعل, وقال: «أنت أحق بأنْ يُتَلقَّى عنك»، ثم التفت إلى الحضور, وبينهم بعض الأساتذة, وقال: «ولله لا أدري كيف يأتون بمثلي, وعندهم هذا العالم الأديب». [1]

=وأمَّا عن ملكة الشعر، فهو شاعرٌ من الطراز الأول؛ إذ قال الشعر في صباه، ولكنه لم يحتفظ به، وإنْ تذكر أبياتًا متفرقة منه في بعض خواطره، من ذلك ما جاء في كلماته: «قلت في صِبَاي في سياقٍ لم أعد أذكره:

إنَّا إذا ما دَعا الدَّاعي فَأسمَعنا * ثُرْنا شيوخًا إلى الداعي وشُبَّانا**

كلٌّ يُسابقُ للجُلَّى فلا أحدٌ * لم يَرْضَهُ المجدُ إقدامًا وإحسانا**

وأقول اليوم: ليتنا نكون كذلك! ولو كُنَّا كذلك لما استهان بنا المستهينون، وعدا علينا العادون، وتخلّفنا عن الركبِ البشريّ فصرِنا في ذيله على كلّ صعيد». [2]

لكنني أفضل في الاستشهاد على شاعريته بتلك الأبيات الرائقة التي تصور نفسه وإيمانه وغايته أيَّما تصوير، حيث يقول:[3]

وما أُبالي إذا التاريخُ أَنْصَفَني * أَوْ جارَ في حُكْمِهِ أَوْ ضَلَّ أَوْ كذَبَا**

وما أُبالي لِسَانَ الدَّهْرِ تَوَّجَني * بالحَمْدِ أَمْ أَعْمَلَ الأنْيابَ والقُضُبَا**

الظالمونَ على شَتَّى مَذَاهِبِهِمْ * مَالُوا عَلَيَّ –وما بالَيْتُهُمْ –عُصَبَا**

اللهُ قَصْدي وهذا الكَوْنُ أَجْمَعُهُ * لم يَسْتَثِرْ رَغَبًا في النفسِ أَوْ رَهَبا**

حَسْبي طَهارةُ قَلْبي في مَقاصِدِهِ * والنَّهْجُ ما رَضِيَ الرحمنُ أَوْ طَلَبَا**

إنْ نِلْتُ مَرْضاتَهُ فالشَّمْسُ دُونَ يَدِي * فكَيْفَ أَقْبَلُ في آمالِيَ الشُّهُبَا**

=وأمَّا موهبته في الكتابة فسوف تجلِّيها مباحث هذا المقال المختصِّ بفن "الخاطرة" في كلماته.

المبحث الأول: فنُّ الخاطرة: إضاءاتٌ وجماليَّاتٌ

---

(1) العبسو، عمر محمد. **عصام العطار القائد الملهم والشاعر الموهوب**. مقال منشور على موقع رابط أدباء الشام على الرابط (آخر زيارة 2017/10/31م):

http://www.odabasham.net/تراجم/11842-عصام-العطار-القائد-الملهم،-والشاعر-الموهوب-

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 1/546-547.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 2/19.

أولًا: مفهوم الخاطرة:

الخاطرة في اللغة: كلُّ ما يجري في الخاطر من فكر وتدبير، فهي اسم فاعل من الفعل خَطَرَ يَخْطِرُ (بكسر العين وضمّها) إذا جرى بباله، ففي لسان العرب: «الخاطِرُ: مَا يَخْطُرُ فِي القَلْبِ مِنْ تَدْبِيرٍ أَو أَمْرٍ... وَيُقَالُ: خَطَرَ بِبَالِي وَعَلَى بَالِي كَذَا وَكَذَا يَخْطُر خُطُورًا إِذا وَقَعَ ذَلِكَ فِي بَالِكَ ووَهْمِك. وأَخْطَرَهُ اللهُ بِبَالِي». (1)

قال أبو البقاء الكفوي (ت1094هـ): «الخاطر: هُوَ اسْم لما يَتَحَرَّك فِي القلب من رَأْي أَو معنى، سُمِّي مَحَله باسم ذَلِك، وَهُوَ من الصِّفَات الغَالِبَة، يُقَال مِنْهُ: خطر ببالي أَمر، وعَلى بالي أَيْضًا. وأصل تركيبه يدل على الاضْطِرَاب وَالحرَكَة». (2)

وفي الاصطلاح الأدبيّ تعرف الخاطرة (Notion) بأنَّها: «لمحةٌ أو فكرةٌ عارضةٌ مؤقتةٌ تختلج أو تعرض في النفس، ليست بحاجة إلى أسانيد أو براهين لإثبات صحتها أو صدقها». (3)

وهي فنٌّ ليس جديدًا في الأدب العربي، فمن قديم سمَّى أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) أحد كتبه باسم "الخاطريَّات" ضمّنه جملة من المسائل اللغوية المتفرقة التي خطرت بباله دون أن يجمعها عقد منظوم، ومن بعده ألف ابن الجوزي (ت597هـ) كتابه الذائع "صيد الخاطر"، أودع فيه جملة من المواعظ الثمينة.

ثانيًا: بين المقال والخاطرة:

دار حوار أدبيٌّ ثريٌّ حول الفرق بين الخاطرة والمقال، ولعل أول من بدأه هو "سيد قطب" (ت1966م) إذ قال: «هناك نوعان من العمل الأدبيّ نطلق عليهما لفظ "المقالة"، وهما يتشابهان في الظاهر، ويختلفان في الحقيقة، فإحداهما انفعالية والأخرى تقريرية، ولعل من الأنسب أن نفرق بينهما في الاسم بدل أن نفرق بينهما في الوصف، فنقصر لفظ "المقالة" على النوع الثاني، ونسمي النوع الأول "خاطرة". ونبادر بكلمة إيضاحيَّة عن كل منهما تكشف عن الطبيعة المختلفة لكليهما. الخاطرة في النثر تقابل القصيدة الغنائية في الشعر، وتؤدي وظيفتها في عرض التجارب الشعورية التي تناسبها. فالقصيدة الغنائية مجرد تعبير في صورة موحية عن تجربة شعورية بلغت من الامتياز حدًّا خاصًا.... إلا أنَّ السمة البارزة في القصيدة هي انسياب الشاعر مع خواطره وأحاسيسه حتى تصل إلى التركيز الواعي في الأداء اللفظي، وقلما توجد الفكرة الواعية سلفًا قبل أن تجول في نفسه خواطر مبهمة، وأحاسيس منسابة إلا في شعر الفكرة، ونصيب هذا اللون من الشاعرية كما قلنا ضئيل... كل هذه السمات يمكن أن تنطبق على الخاطرة في عالم النثر، مع استثناء واحد هو الوزن والقافية، وكثيرًا ما يوجد لون من الإيقاع فيها يقابل الوزن، ونوع من التوافق في المقاطع يقابل القافية؛ لأنَّ طبيعة التجارب التي تعالجها لا تستغني عن قسط قوي من الإيقاع والتنغيم. أما المقالة فهي فكرة قبل كل شيءٍ وموضوع، فكرة واعية، وموضوع معين، يحتوي قضية يراد بحثها... وليس الانفعال الوجداني هو غايتها، ولكنَّه الاقتناع الفكريُّ». (4)

---

(1) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم. (1993م). **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر، بيروت. 249/4.

(2) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. (1998م). **الكليات**. تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص433.

(3) نصَّار، نواف. (2007م). **المعجم الأدبي**. عمَّان: دار ورد للنشر والتوزيع. ص72.

(4) قطب، سيد. (2003م). **النقد الأدبي أصوله ومناهجه**. ط8. القاهرة: دار الشروق. ص105-106.

وواضح أنَّ الذاتيَّة من أهم سمات الخاطرة، لكنَّ هناك مقالاً ذاتيًّا أيضًا، مما حمل كثيرًا من النقاد على مخالفته الرأي، يقول "أحمد حنطور": «ومن الملاحظ أن ما ذهب إليه الأستاذ سيد قطب يجعل اسم المقال وقفًا على ما يسمى بالمقال الموضوعيّ، ويجعل مقابله وهو المقال الذاتي تحت اسم الخاطرة، وتمثيله لها بكتابات جبران ونعيمة يؤيد ذلك. وهو بهذا يفرق بين المقال والخاطرة بالكيف، لا بالكمّ كما ذكرنا، مع أنَّ للحكم دورًا فاعلًا في التفرقة بين المقال والخاطرة. ونحن نرى أنَّ ما بين المقال الأدبيّ والخاطرة فروقًا ومشابهات، وأنَّ هذه الفروق والمشابهات ترجع إلى الكمّ والكيف على حد سواء. فالمقال الأدبيّ يشبه الخاطرة، في القدرة على الإثارة والإمتاع، وفي جمال التعبير وبراعة التصوير، وفي إبداء وجهة نظر جديرة بالنظر والتأمل، وفي بروز شخصية الكاتب فكرًا وعاطفة في كتابته، وفي قيامهما حول فكرة محددة تعالج في حيز محدود... وهو يختلف عنها في أن المقال الأدبيّ يغلب جانب الفائدة والاقتناع، والخاطرة تغلب جانب الإثارة والمتعة، وفي أنَّ ناقل المضمون في المقال الأدبيّ إنما هو العرض والكشف، بينما يصل كاتب الخاطرة، إلى ما يريده عن طريق التساؤل والتأمل، وفي اختلاف مدى المعالجة بينهما بين قصير وأقصر، وفي ماهية المضمون الذي يحمله كل منهما، فهو يكون في المقال الأدبيّ فكرة مدروسة بينما يظل في الخاطرة مجرد لمحة ذهنية طارئة، مثل بعض الخواطر التأمليَّة التي يكتبها أحمد بهجت في صندوق الدنيا».[1]

ولعلَّ "سيد قطب" رحمه الله كان يومئ إلى النمط الغالب في الفنّين معًا، فالمقال تغلب عليه الموضوعية وإن وجدت مقالات ذاتيَّة، والخاطرة تغلب عليها الذاتيَّة وإن وجدت خواطر موضوعية، فالتداخل بين الفنين واضح، ووَضْعُ خطوطٍ فاصلة بينهما من الصعوبة بمكان.

وقد وضع "عز الدين إسماعيل" جملة من الفروق بين الفنين حيث قال: «والخاطرة من الأنواع النثريَّة الحديثة التي نشأت في حجر الصحافة، ولكنَّها تختلف عن المقال من عدة وجوه: فالخاطرة ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد، ولكنها فكرة عارضة طارئة. وليست فكرة تعرض من كل الوجود، بل هي مجرد لمحة. وليست كالمقالة مجالاً للأخذ والرد، ولا هي تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية، لإثبات صدقها، بل هي أقرب إلى الطابع الغنائي... ثم لا ننسى الاختلاف في الطول والقصر، فالخاطرة أقصر من المقالة، وهي لا تجاوز كثيرًا نصف عمود من الصحيفة، وعمودًا من المجلة، وإذا ذكرنا الصحيفة والمجلة فإنما نذكرهما لنعود لتقرير أن الخاطرة في وقتنا قد أصبحت عنصرًا صحفيًّا نطالعه في كلِّ جريدة وكلِّ مجلة، والصحف تعطي هذا العنصر عنوانًا ثابتًا، لأنَّ الخاطرة تكون عادة بلا عنوان، من هذه العناوين "فكرة"، "نحو النور"، "شموع تحترق"، "ما قلَّ ودلَّ"... الخ».[2]

ثالثًا: الخصائص الفنيَّة للخاطرة:

لا ريب أنَّ وضع خصائص فنية محددة لا تتخلف لأيّ فن من الفنون من الصعوبة بمكان؛ لأنَّ العلوم الإنسانية بصفة عامة تتأبَّى على ذلك التحديد الرياضي الذي يشبه الخصائص الماديَّة لعناصر الطبيعة، والفنون الأدبية بصفة خاصة أكثر صعوبةً؛ لأنَّ الأدباء دائمو التمرد على تلك المقاييس التي يعدونها متصادمة مع حقيقة الفن، ولكننا نحاول استكناه أبرز الخصائص التي تشي بها كتابات المبدعين وآراء النقاد، وهي:

---

(1) حنطور، أحمد. (2008م). **فن المقال في الأدب المصري الحديث**. ط2. القاهرة: مكتبة الآداب. ص30-31.

(2) إسماعيل، عزّ الدين. (2001م). **الأدب وفنونه: دراسة ونقد**. ط8. القاهرة: دار الفكر العربي. ص168. (بتصرف).

1–الذاتيَّة: فالخاطرة كتابة ذاتية في المقام الأول، وإن كانت الذاتية لا تنفك عن جلِّ الأعمال الأدبية، بل العلميَّة أيضًا، ولكنها في الخاطرة شديدة الواضح، وذلك واضح حتى من مجرد التسمية. وإن كان بعض الكتاب قد سموا بعض الرؤى العلميَّة خواطر وأضافوها إلى العلم الذي تخصصوا فيه مثل: "خواطر مؤرخ" لعبد العظيم رمضان، و"خواطر سياسية" لإحسان عبد القدوس، و"خواطر وعبر في السياسة والفلسفة والدين"، لمحسن دلول.

2–النثريَّة: فالخاطرة عمل نثريٌّ، وإن كان قريب الصلة بالشعر من جهة الذاتيَّة واللغة التصويريَّة، فهي شديدة الشبه بما يسمي بقصيدة النثر، وقد سمى بعض الشعراء دواوينهم باسم الخواطر، مثل: "قررت الرحيل" خواطر شعرية (2014م) لزينة محمود، و"صلاة وغفران" خواطر شعرية (2014م) لوليد جمال، و"حين ضعفي" خواطر شعرية (2009م) لماجدة زنبقة... وغيرها.

3–الإيجاز: فالخاطرة عادة تكون قصيرة؛ لأنَّها ومضة فكرية يسجلها الكاتب، وقد تكون فقرة واحدة أو سطرًا واحدًا، وإن كان بعض الكتاب يطيل فيها؛ لأنَّ الدفقة الفكريَّة تشبه أمواج البحر، منها القصير العابر، ومنها الضخم الهائل.

4–الخُلُوُّ من العنوان: فكثير من الكتاب يزجي خواطره مرسلة دون عنوان، وفي أحيان كثيرة تكتب في باب ثابت في صحيفة تحت عنوان فضفاض يصلح لاحتواء كافة الآراء، مثل: "فكرة"، أو "نصف كلمة"، أو "آخر الليل"، أو "حديث المدينة"، أو "هوامش حرة"، أو "زاوية"... ويندرج تحتها "كلمات" لعصام العطار.

5–اللغة التصويريَّة: لما كانت الخاطرة ذاتية جدًّا، صارت لصيقة الصلة بالشعر الغنائيَّ، وباتت السمة التصويرية في اللغة هي الأغلب تمامًا كما في المقالة الذاتية، حيث «تبدو شخصيَّة الكاتب جليَّة جذابة، تستهوي القارئ، وتستأثر بلبِّه، وعُدَّته في ذلك الأسلوب الأدبيّ الذي يشعُّ بالعاطفة، ويثير الانفعال، ويستند إلى ركائز قويَّة من الصور الخياليَّة، والصنعة البيانيَّة، والعبارات الموسيقيَّة، والألفاظ القويَّة الجزلة». (1)

ولا شكَّ أنَّ كتابة الخاطرة المتسمة بهذه السمات ليس عملاً سهلاً، بل عمل مُضْنٍ «يحتاج في الكاتب إلى الذكاء، وقوة الملاحظة، ويقظة الوجدان، وهو يتمشَّى مع الطابع الصحفي العام في الاهتمام بالأشياء الصغيرة السريعة، وتفضيلها على الكتابات المطوَّلة، وأهميتها تأتي من أنَّها تستطيع لفت القارئ إلى الأشياء الصغيرة في الحياة التي لها دلالة كبيرة». (2)

المبحث الثاني: آفاقٌ موضوعيَّة

كانت الكلمة هي سلاح "عصام العطَّار" في منفاه الذي ما بَرِحَه منذ أكثر من نصف قرن، فهي المُتَنفَّس الذي ينفث فيه همومه وآلامه التي هي بالأحرى هموم أمته وآلامها، وهي الشمعة التي يضيئها للناس وإن كان يجعل من عمره وقودًا لها، وهي الصيحة التي يحدو بها شباب الأمة نحو الوحدة بكل أبعادها، واليقظة بكل معانيها.

---

(1) نجم، محمد يوسف. (1966م). **فن المقالة**. ط4. بيروت: دار الثقافة. ص96.

(2) إسماعيل، عزّ الدين. **الأدب وفنونه: دراسة ونقد**. (مرجع سابق). ص168.

ولا غرو فهو يؤمن بدور الكلمة الصادقة، الذي لا يقلُّ عن دور السلاح الماضي، حيث يقول: «القصيدةُ البارعةُ الباهرة، والأغنيةُ الصادقةُ الساحرة رسولٌ إلى القلوبِ والعقولِ لا تنغلقُ دونَه الأبواب». [1]

لكنَّ هذه الكلمات تحتاج إلى كلِّ ذي عقل راجح يهزُّه البيان الرشيق، لا كل بليد كأنَّه الصخر الأصمُّ، حيث يقول: «مَنْ لم يَهُزَّهُ البيانُ العظيم واللحنُ العظيم والأداءُ العظيم والإبداعُ العظيم فهو جَمادٌ جماد، أو أقربُ إلى الجمادِ منه إلى الإنسان». [2]

كما تحتاج إلى تحويلها من عالم النظرية إلى عالم التطبيق، كي نلمس لها أثرًا عمليًّا في دنيا الواقع، حيث يقول: «إذا لم تتحوّل كلماتي إلى لَهَبٍ في الصدور، ونورٍ في العيون، وعملٍ فَعّالٍ خَلاّق، فما أقَلَّ غَنَاءَ هذه الكلمات، وما أعظمَ خيانتَها لِما يشتعلُ في جوانحي من المشاعرِ والآمال». [3]

وكلمات الكاتب التي هي موضع الدراسة هي خواطره التي نشرها في مجلة "الرائد" التي تصدر في "ألمانيا" على مدار أكثر من ثلاثين عامًا، فأما الجزء الأول الذي صدرت طبعته الأولى عن الدار الإسلاميَّة للإعلام، بون، ألمانيا عام 1999م في 558 صفحة، فقد تضمن جمهور كلماته التي نشرتها "الرائد" ما بين عامي (1977-1998م). وأمَّا الجزء الثاني الذي صدرت طبعته الأولى عن الدار نفسها عام 2008م في 129 صفحة، فقد تضمَّن قَبَساتٍ من أشعاره خطبه وأحاديثه الأقدم؛ مما يتناغم مع مساره ونهجه على امتداد حياته، بالإضافة إلى الكلمات الجديدة التي نشرتها الرائد بين عاميْ (1999-2008م)، وستعتمد الدراسة على المنشور في هذين الجزأين دون النظر في بقية مقالاته المنشورة هنا وهناك.

وهذا التأريخ العام للكلمات يُبرز أنَّه كتبها بعد استحْصاد تجربته؛ إذ بدأها وهو في سن الخمسين، وآخرها كان وهو في الثمانين من عمره، فليس فيها شيء من نزق الشباب، بل تمام العقل والحكمة، وإن كنتُ آخذ على الناشر أنَّه لم يؤرخ لها تأريخًا دقيقًا، وهو أمرٌ من الأهمية بمكان لشدَّة ارتباطها بأحداث العصر، كما أنَّ التأريخ يساعد في رصد التطوُّر الفكريّ لدى الكاتب.

والجزآن متناغمان في النسق الفكريّ؛ إذ صدرا من مشكاة واحدة لغاية واحدة، حيث يقول الناشر في تقديم الجزء الأول منها: «وكلمات الأستاذ عصام العطَّار في هذا الكتاب صدًى لفكرِهِ وشعورِهِ وتجربتِهِ العميقة الغنيّةِ في مختلف المجالات، فهي تُلقي الضّوءَ على حياته، وبعضِ ما أحاط به من ظروف... وفي هذه "الكلمات" تجسيدٌ حيٌّ لمعاناةِ الإنسانِ المسلمِ الصّادقِ الحرِّ في بلاده وعالمه وعصره، وعنفوانِ الإنسانِ المسلمِ وشموخِه وصلابتِه في مواجهةِ الطّاغوت، وتصميم الإنسانِ المسلمِ تصميمًا نهائيًّا قاطعًا على متابعة طريقه، وأداءِ رسالته، ولو كان في ذلك التشرّدُ والعذابُ والموت».[4]

ويقول الكاتب نفسه في تقديم الجزء الثاني: «هذه "كلمات" من الماضي: نَبَضَاتٌ من قلبي وفكري، ولمحاتٌ من حياتي وحياةِ أُمّتي وبلادي وعالمي وعصري. سمحتُ بنشرها، دون تعديل أو تبديل، فقد عَمِلَتْ عملَها فيمن

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 499/1.

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 499/1.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 516/1.

(4) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 8/1-9.

قرأها وتأثَّر بها، وحملتُ وِزْرَهَا أو نِلْتُ أجرَها، وغَدَتْ من مِلْكِ التاريخ في الدنيا، وَمِنْ سُطورِ كتابٍ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا». [1]

ولعل الفارق الوحيد الذي يلمحه القارئ في "كلمات" الجزء الثاني هو كثرة حديثه عن الشيخوخة، وعن الآخرة، وتنامي ظاهرة التناصِّ القرآنيّ، مع بروز تشبُّثه بحبال الرجاء في عفو الله.

وقد طرق "عصام العطَّار" بخواطره كافة الموضوعات الدينيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة وغيرها، ولكنَّ وضع خطوط فاصلة بين هذه الموضوعات من الصعوبة بمكان؛ فالفكرة الواحدة قد يُحَمِّلها الكاتب قيمة إنسانيَّة نبيلةً، ويفيض عليها من وهج وجدانه، ثم يصبغها بصبغة إسلاميَّة نابعة من ديننا الحنيف، ثم يسقطها على الواقع السياسي المرير، أو على المجتمع الذي يعاني من أمراض فتَّاكة؛ مما يوقع الباحث في حيرة بالغة حول تصنيفها.

وإذا كان القدماء قد قالوا: «مَنْ أَخْصَبَ تخيَّر»،[2] فإنَّ الكاتب أمام تلك الروضة الغناء يقول: «من أخصب تحيَّر»؛ حيث كنت أحاول الاقتباس من كل خاطرة فأجدني عاجزًا عن إنهاء الاقتباس؛ لأنَّ كلَّ فقرة تريك من الحُسْن ما تَضِنُّ به على الترك، وكلما اتفقت عدة مقالات في التدليل على فكرة واحدة أعجز عن ترك بعضها، ومن ثم سأحاول التدليل بكلمات محدودة على كلِّ محورٍ موضوعيٍّ، ويقيني أنَّ ما جاء في تحليل شخصيته، وما سيأتي في التحليل الفنيِّ لكلماته يتآزر تمامًا مع هذا التصنيف الموضوعيِّ في تصوير الآفاق الموضوعيَّة التي جابتها خواطِرُه:

أولًا: الخواطر الوجدانيَّة:

قارئ الكلمات يدرك بجلاء أنَّ الكاتب قد اعتصر قلبه، واستحلب زبدة مشاعره في كتابة هذه الخواطر، وأنَّه مزجها بدمعه بل بدمه، ولا غرو فهو القائل في إحداها: «إنّنا لا نكتبُ بالْمِداد، ولكنْ بِدَمِ القلب، فمعذرةً إذا ظهرَ في سطورنا أثرُ الجراح». [3]

ويقول مُصَوِّرًا هذه المعاناة النفسيَّة ساعة الكتابة: «يكاد القلم يصرخ في يدي أحيانًا ويبكي، ويكاد يجري بالدّم والدموع على القرطاس. في صدري نيران مشتعلة تخنقني، وجراحات عميقة تَنْكَؤُها كلَّ يوم جراحات، وآلام في النفس والجسم. يا لها من آلام! الظلماتُ في حياتنا ليس لها حدود، والأهوال ليس لها حدود، والتردّي ليس له حدود، وعجزنا ليس له حدود، وقهرنا ليس له حدود. يا الله! إلى متى تدوم بنا هذه الحال؟!». [4]

وأعظم ما ظهرت فيه ملامح هذه التجربة الوجدانيَّة حديثه عن جرح "أم أيمن" فقد بقي اغتيالها جرحًا نازفًا في حشاه إلى يومنا هذا، وحسبك أنْ تقرأ قصيدة "رحيل" التي أشرت إليها في شاعريته، ولكنه لم يكتف بهذه

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 4/2.

(2) مثل جرى على لسان أعرابي حضر مائدة سليمان بن عبد الملك. انظر: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. (د.ت.). **العقد الفريد**. تحقيق: أحمد أمين، وآخرين. ط2. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. 485/3. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد. (1994م). **وفيات الأعيان**. تحقيق: إحسان عباس. ط7. بيروت: دار صادر 424/2.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 40/1.

(4) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 255/1.

القصيدة المطولة، بل كان كلما راوده طيفها أزجى خاطرة ممزوجة بدمعه، وحسبك أن تقرأ له هذه الومضة الموجزة المحملة بكل معاني الأسى والحسرة: «إذا ذهب الذين تحبهم، والذين يحبونك، فأيامك الباقية قفر موحش». [1]

ثانيًا: الخواطر الدينيَّة:

لا تخطئ عين القارئ اللبيب النزعة الدينيَّة الواضحة في جميع خواطره، فهو رجل نذر نفسه لله، وآمن بشمولية هذا الدين، وأيقن أنَّه لا خلاص للأمة من بلاياها الجسام إلا بالعودة إلى حياض دينها، وأدرك أنَّ الميزان الحقيقي للإنسان هو مدى قربه من الله أو بعده عنه، حيث يقول: «من قَوَّم نفسَه بمنزلتِه من السُّلْطان، كان عبدًا تافهًا لا شخصيّةَ له، ومن قَوَّم نفسَه بمنزلتهِ من اللهِ عزَّ وجلَّ، كان حُرًّا كريمًا في مختلفِ الظّروف». [2]

ولكنَّه يسوءه جدًا سلوك بعض المنتسبين إلى العمل الدعويّ، وسلوك بعض الناس تجاه المعاني الدينيَّة التي يردِّدُونها ليل نهار، ولذا تراه ينتقد بشدة أولئك المرتزقة المحسوبين على العمل الدعوي، ولكنهم لا يريدون من الدعوة سوى المكاسب المادية، حيث يقول: «ويلٌ لمن لا يطلبُ من الدّينِ إلاّ الوجاهةَ والكَسْب». [3]

وهو في هذا النقد متأثر بأبي العلاء المعريّ (ت449هـ) حيث يقول:[4]

وَلا تُطيعَنَّ قَومًا ما دِيانَتَهُم * إلَّا احتِيالٌ عَلى أَخْذِ الإتاواتِ**

وَإنَّما حَمَّلَ التَوراةَ قارِئَها * كَسبُ الفَوائِدِ لا حُبُّ التِّلاواتِ**

وفي نقده للغشاوة التي تعلو أبصار الناس وبصائره إزاء المعاني الدينية التي يرددونها يقول حول عدم فهمهم معاني التكبير الذي نسمعه في اليوم عشرات المرات: «إذا كانَ اللهُ عندَك حَقّاً هو الأكبر، أصبحتَ سيّدَ هذه الدّنيا، وأصبحَ كلُّ ما فيها مُسَخَّراً لخدمتِك. ما أبعدَ الفرقَ بينَ أن يكونَ اللهُ هو الأكبرَ على لسانِك، وبينَ أن يكونَ هو الأكبرَ في فكرِكَ ووجدانِك.كان اللهُ هو الأكبر حقيقةً في نفوسِ الرّعيلِ الأوّل من سلفنا الصّالحِ فملكوا الدّنيا، وكان هو الأكبرَ لفظاً على ألسنُنِا فمَلَكَتْنا الدّنيا، واستعبَدنا أذلُّ النّاس». [5]

ثالثًا: الخواطر السياسيَّة:

لا يمتري عاقل في أنَّ "عصام العطار" كان زعيمًا سياسيًّا بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، وقد كان له دور سياسي بارز في مرحلة مِفْصَليَّة من تاريخ سوريا، وقد تفوق في الانتخابات تفوقًا كاسحًا على زعماء سياسيين بارزين، وقد أعلن في دمشق في خضمِّ حملته الانتخابيَّة التي تُوِّجَتْ بنجاح كاسح عام 1963م قائلاً: «إنّ حُرّيّةَ كلِّ مواطنٍ في سورية هِيَ حُرِّيّتي، وكَرامتَهُ هِيَ كَرامَتي، وسَلامَتَه هِيَ سَلامَتي، وإنِ اخْتَلَفَ مَعي في الرّأْي، أو وقف مِنّي مَوْقِفَ الخصْم، وسأُدافع عن كلِّ مواطنٍ مُسْتَضْعَفٍ مظلوم، وعن حُقوقه الأساسيّة المشروعة، في مُواجَهَةِ كلِّ حُكْمٍ غاشم، وكلِّ طاغوتٍ ظالم، وكلِّ عُدْوانٍ آثِمٍ مهما كان مصدره، ولو كلّفَني ذلك الحياة».[6]

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 110/2.

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 30/1.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 29/1.

(4) المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان. (1986م). **اللزوميات**. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 48/1.

(5) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 42/1-43.

(6) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 19/1.

وقد عرض عليه مناصب سياسيَّة عديدة منها رئاسة الحكومة، ولكنَّه أبى كلَّ هذا بعدما رأى السياسة مشوبة بالمصالح، وقائمة على الكذب والتدليس، وسلمًا إلى الاستبداد، وتأرْجُحًا بين الشرق والغرب حسب المصالح والأهواء، ولذا تراه ينادي بأعلى صوته: «لا تكونوا أيّها المسلمون سيفَ الرّأسماليّةِ على الشّيوعيّة، ولا سيفَ الشّيوعيّةِ على الرأسماليّة، كما يريدُ أن يجعلَ منكم المخادِعون، والسّماسِرةُ المضلِّلون، ولكن كونوا سيفَ الإسلامِ ينتصرُ به الحقُّ والعدل، وينهزمُ به الباطلُ والظّلم، شيوعيّاً كانَ أو رأسماليًّا، وشرقيًّا كان أو غربيًّا». (1)

في الجزء الثاني الذي كتب جلَّ كلماته وقد جاوز السبعين يردِّد موقفه الصامد من الاستبداد، والذي لم يتبدل طيلة حياته، مشيرًا إلى أنَّ أعظم أخطاره هي بثُّ اليأس في قلوب الناس، فيقول: «لقد مسخ الاستبداد والظلم والخوف واليأس كثيراً من الناس في بلادنا العربية والإسلاميَّة، فحوّلهم إلى كِتَل من النفاق والانتهازيَّة والخنوع والاستسلام، لا مطمحَ لها، ولا قدرة عندها على العمل والتضحية للتحرر والخلاص، والسموّ إلى مستوى رسالتها وواجباتها الكبرى، أو مجرّد التفكير أو الحُلُم بالسموّ إلى هذا المستوى». (2)

رابعًا: الخواطر الاجتماعيَّة:

رأينا قلب "عصام العطار" وهو ينطوي على معانٍ إنسانية عالية، وعقله وهو ينفتح على الآخر أيًّا كان، فلا جرم أن نراه مصلحًا اجتماعيًّا، يحاول أن يذود عن مجتمعه غوائل الفتن، وأن يبثَّ فيه روح الإصلاح المستنير بهدي الإسلام. وقد رأينا له خواطر اجتماعية راقية تدل على عقل راجح وفكر رشيد، من ذلك قوله منتقدًا تسلط بعض الرجال على أزواجهم وأبنائهم على حين أنهم عبيد لأقزام الطواغيت: «أفْسَلُ الناس من يظلم زوجته، ويتفرعن على ولده، ويستعلي على إخوانه وصحبه، ثم يضعف في مواجهة تحدّيات الحياة وتكاليف الحياة، وينقاد للأهواء والنزوات، ويذلّ أدنأ الذلّ لأصغر الطواغيت». (3)

وهو في هذا متأثر بالهدي النبوي، حيث يقول صلى الله عيه وسلم: «عَلَامَ يَضْرِبُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ العَبْدِ، ثُمَّ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ». (4)

ويشنُّ حملة شعواء على جملة من الأمراض الاجتماعيَّة على رأسها الجهل والطمع والعبوديَّة للهوى، مبينًا أنَّ هؤلاء أكثر عددًا من الذين تستعبدهم الطواغيت، بل أقول إنَّ الطواغيت تستعين بالمصابين بهذه البلايا لترسيخ ظلمها وفجورها، ومن مصلحتها أن تتعاظم هذه الطوائف الحقيرة ليسهل لها ما تريد من التسلُّط والسيطرة، حيث يقول: «ما هي نسبةُ الذين يَرْسُفون في قُيودِ الطغاة إلى الذين يرسفون في قُيودِ الجهل والمطامع والأهواء؟ هل هي نسبة الساقية الصغيرة إلى البحر الكبير أم هي أقل؟!». (5)

وأكثر الأمراض الاجتماعية التي صبَّ عليها جام غضبه مرض "البِغَاء الفِكريّ"، حيث يقدم بعض الكتاب على بيع أقلامهم للحكام المستبدين بثمن بخس دراهم معدودة، وما أكثرهم في الشعراء الذين جعلوا من أظلم

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 1/34-35.

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 2/31.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 1/422.

(4) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن زمعة. **مسند أحمد**. (مرجع سابق). 26/162، رقم 16224.

(5) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 1/519.

الحُكَّام أَحَد العُمَرَيْن، ومن أجبنهم خالدًا، ومن أبخلهم حاتمًا، ومثلهم الكتاب الذين يزينون الباطل في الصحف التي تسبّح بحمد السلاطين ليل نهار، حيث يقول: «ما هو الفرقُ بينَ بَغِيٍّ تبيع جسدَها بثمن بَخْسٍ لتعيش، وكاتبٍ أو شاعرٍ يبيع روحَه وفكرَه ولسانه وقلمه بثمن بخس ليعيش؟ ما أكثرَ البغاءَ والبغايا، وأصنافَ البغاء وألوانه في عالمنا، وما أخطرَه وأحقره وأبشعه في عالم الفكر والقلم!». [1]

خامسًا: الخواطر الإنسانيَّة:

رُزِق الكاتبُ قلبًا كبيرًا لا يسع الفرقاء من أهل وطنه فحسب، بل يسع الإنسانية جمعاء، ويحمل همومها جمعاء، يحمل همَّ الإنسانيَّة كلِّها، وحسبك آخر خاطرة في الجزء الثاني من كلماته تلك التي يقول فيها: «قد ينوءُ الإنسان بما يحمله من همّ نفسه، أو همّ أسرته، أو همّ قومه وبلده، فكيف بمن يحمل هموم الإنسانية كلّها؟! ما أكثرَ وما أثقلَ ما تحملُه من الهموم يا قلبي!». [2]

والواقع أنَّ الرجل لم تكن نفسه مكلومة على "أمّ أيمن" وحدها، بل على جراح الأمة التي ما فتئت تنزف حتى يمنا هذا، فلا جرم أن تراها باخعًا نفسه على الأمة، بل على الإنسانية بأسرها، حيث يقول: «لا تنظروا إلى ابتسامتي فقلبي يَقْطُرُ منه الحزن. ما أشدَّ حُزْني على نفسي وعلى الإنسان والإنسانية في مطلع هذا القرن». [3]

ولذا تراه ينكر كلَّ عملٍ إرهابيٍّ يستهدف إنسانًا بريئًا أيًّا كان جنسه أو دينه أو لونه؛ لأنَّه اعتداء على نفس حيَّة كرمها الله، وهدم لبنيان الرب، حيث يقول معلقًا على إحدى الحوادث الإرهابيَّة: «إنّ الانفجار الذي وقع في محطة القطار الباريسيّة «بورت رويال» يوم الأربعاء 1996/12/4م، وقُتل فيه شخصان، وجُرح 93، سبعة منهم حالتهم خطرة أمرٌ يتنافى مع الإسلام والإنسانيّة والأخلاق. وأنا أتمنّى ألاّ يتورّط أيُّ مسلم في مثل هذه الأعمال الجاهلة الطائشة الشائنة، التي تغضب الله عزَّ وجلَّ، وتُسيء أبلغ الإساءة إلى الإسلام والمسلمين». [4]

= تلك هي أبرز الاتجاهات الموضوعية في كلمات "عصام العطار" وليست جميعها، فأنت لا تعدم في كلماته ومضة فلسفيَّة، أو فكرة اقتصاديَّة، أو توجيهًا تربويًّا، أو تحليلاً نفسيًّا... الخ، وهي جميعًا ترسم بجلاء ملامح شخصيَّته المتَّسِمة بالشجاعة والتسامح والانفتاح، ولا تخرج عن الإطار العام لفكره الذي ينطق بالثراء والتنوع، وبإسلاميَّة الرؤية، والثبات على المبدأ، والدفاع عنه بكلِّ قوَّة، والتضحية من أجله بكلِّ غالٍ ونفيسٍ.

المبحث الثالث: ملامح فنيَّة

لا يقتصر جمال "كلمات" عصام العطَّار على ما تحمله من معانٍ إنسانيَّة راقية، وقيم إسلاميَّة سامية، ورؤية فكريَّة سديدة؛ فالقيمة الأدبيَّة لا تقاس بالمقياس الفكريّ أو الأخلاقيّ وحده، وإنَّما في المقام الأول بجمال الصياغة، وروعة التصوير، وحسن الاستخدام للأدوات الفنيَّة التي تأخذ الكلمة من مجرد الوعظ المباشر إلى أفق

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 114/2.
(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 129/2.
(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 120/2.
(4) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 441/1.

الجمال الفنيّ الجامع بين الإقناع والإمتاع، فهذه الأدوات الفنيَّة هي إكسير الحياة للعمل الأدبيّ، وقيمته إنَّما تنبع في المقام الأول من التصوير الفنيّ، الذي يطير بالبيان في آفاق الخيال الساحر، ويرسم بالكلمات برودًا مُوشَّاة من النسيج الفاخر، وهو ما عناه الجاحظ (ت255هـ) بقوله: «والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقَرَويُّ، والمِدَنيُّ. وإنّما الشأنُ في إقامةِ الوزنِ، وتَخَيُّرِ اللفظِ، وسُهولةِ المَخْرَجِ، وكثرةِ الماءِ، وفي صِحَّةِ الطَّبْعِ وجودةِ السَّبْكِ، فإنَّما الشِّعْرُ صناعةٌ، وضَرْبٌ من النَّسْجِ، وجِنْسٌ من التَّصويرِ». [1]

وإن كنا لا نريد أن نطرق باب تلك الجدلية القديمة حول اللفظ والمعنى، فنحن نعتقد أنَّ العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد، وأنَّه لا غنى لأحدهما عن الآخر، كما قال ابن رشيق القيرواني (ت463هـ): «اللفظُ جسمٌ، روحُه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعُفُ بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سَلِمَ المعنى واختلَّ بعضُ اللفظِ كان نقصًا للشعر وهُجْنَةً عليه، كما يَعْرِضُ لبعضِ الأجسامِ من العَرَجِ والشَّلَلِ والعَوَرِ وما أشْبَهَ ذلك، مِنْ غَيْرِ أنْ تذهبَ الروح، وكذلك إنْ ضَعُفَ المعنى واختلَّ بعضُه كان لِلَّفْظِ من ذلك أوفرُ حظٍّ، كالذي يعْرِضُ للأجسام من المرض بمرض الأرواحِ». [2]

وغايتنا في هذا المبحث أن نضع أيدينا على جملة من الخصائص الفنيَّة التي تتسم بها "كلمات" الكاتب المتميز، والتي تأخذها من سياق الوعظ الخطابيّ المباشر إلى أفق الكلمة الفنيَّة المحلقة في فضاءات البيان النثريّ الساحر، وإن كنا نؤمن أنَّ وضع خصائص لا تتخلَّف للأعمال الأدبيَّة من الصعوبة بمكان، فالأديب يرسل خواطره حسب الدفقة البيانية التي تتنزل على ذهنه من عوالم الخيال، وليس من همّه أن يلتزم بجملة من المواصفات كما يلتزم الصانع بمواصفات محددة للمنتج الذي يقوم عليه. وأهمُّ تلك الخصائص:

أولاً: الإيجاز:

لدى الكاتب ميل واضح إلى الإيجاز المكثَّف الذي يُصيب الهدف من أقصر طريق، ويضع الهِنَاء مواضع النُّقْبِ مباشرةً دون تعريج على بُنَيَّات الطريق هنا وهناك، فالطبيب الحاذق هو الذي يعرف الداء ويصف له الدواء المباشر بأقل جرعة ممكنة، وهو ما نراه واضحًا في الجمهور الأعظم من تلك الكلمات، حيث إنَّ الإيجاز خصيصةٌ لصيقةٌ بفنّ الخاطرة، تميزها عن المقالة وغيرها من فنون البيان، وحسبنا أن نقرأ له تلك الكلمات:

- «دَرَكاتُكَ في جهنّمَ على حَسَبِ دَرَجاتِكَ عندَ الطّاغوت، فلا تَتِيهَنَّ علينا بمكانِك من الجحيم». [3]
- «إذا رضيتَ أن تكون حَمَلاً، فلا تَعْتِبْ على أنياب الذئبِ أو سكّينِ الجزار». [4]
- «حَصاةٌ صغيرة من العمل النافع أفضلُ من جبل شاهق من الكلام الفارغ». [5]

---

(1) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب. (2002م). **الحيوان**. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة. 3/131-132.

(2) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (2000م). **العمدة في صناعة الشعر ونقده**. تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1/200.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 1/31.

(4) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 1/295.

(5) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 2/53.

وإن كنا نرى للكاتب بعض الكلمات الطويلة نسبيًا وبخاصة تلك التي يتحدث فيها عن زوجته "بنان" فيدخل في "مونولوج" من الذكريات الأليمة، ويسترسل في الحديث عن تلك المأساة التي احتفرت في صدره أخاديد من الحزن، وكأنَّ الكلمة تعويض نفسي عما يعتمل في قلبه من حسرات تعمل مباضِعُها في أحشائه ليل نهار.

ثانيًا: شعريَّة التصوير:

فقد كان عصام العطَّار شاعرًا منذ نعومة أظفاره، والقصائد التي نعرفها من شعره –فديوانه الضخم لم ير النور بعد، وأرجو أن تتيسر لي سبل إخراجه –تشهد له بعلو الكعب في الصناعة الشعريَّة، وتقطع بأنَّه فارس يمتلك زمام البيان التصويريّ كما يمتلك الفارس الماهر زمام فرسه يُصَرِّفه أنَّى يشاء.

ولو قبلنا مصطلح "قصيدة النثر" فإنَّ كلمات عصام العطَّار شديدة القرب بذلك الفن؛ لما تتكئ عليه من قدرة فائقة على التصوير الشعري المحلق بأجنحة الخيال في آفاق الفن الأصيل.

وقد تضمَّن كتابه "كلمات" بجزأيه خواطر شعرية كاملة، وهو ما نتوقف في إدخاله في فنِّ الخاطرة التي استقرَّ الاصطلاح على أنَّها من فنون النثر، وأحيانًا كان الكاتبُ يقوم بتضفير الشعر بالنثر، جامعًا بين الفنين في سياق فني يتلاحم فيه الشعر مع النثر في قِرانٍ عجيب، من ذلك قوله مستعينًا بالله على مشاق الطريق: «فَعَوْنَك اللهمَّ عونَك، فإنَّ طريقنا لأليمٌ طويلٌ، ووعرٌ شاقٌّ؛ ولكنّ الإيمان الصادق، والإرادة الصارمة، والجهاد الجادّ، تُقرّب كل بعيد، وتُهوّن كلّ عسير، وتُبلّغ كلّ هدف إن شاء الله:

الحُزْنُ في حُبِّه سَهْلٌ لسالكِهِ * والخوفُ أمنٌ وبُؤْسُ العَيْشِ كالنِّعَمِ**
وَأَصْعَبُ الصَّعْبِ في عَيْنَيَّ أَهْوَنُهُ * وَأَبْعَدُ البُعْدِ في العينينِ كالأَمَمِ**
لا بُدَّ لِلّيْلِ أنْ ينزاحَ غيْـــهَبُهُ * ويُشْرقَ الفجرُ بعدَ الظُّلمِ والظُّلَمِ».** (1)

لكنَّ السمة النثريَّة هي الغالبة على الخواطر، ومع ذلك تمكَّن الكاتبُ في اقتدار من صياغتها في قالبٍ تصويريٍّ راقٍ يطير بها في آفاق الشعريَّة؛ إذ استعان في صياغة كلماته بكافَّة أدوات التصوير الفنيّ من تشبيه ومجاز وكناية، ومن وضع للكلمة المنسجمة مع جاراتها في سياقها الصحيح، وليس من همِّنا أن نحلل تلك الكلمات بلاغيًّا، فهذا يحتاج إلى رسالة علمية متخصِّصة، وإنَّما أن نلفت نظر القارئ إلى روعة تصويره مستعينًا بالتشبيه الموحي تارة وبالاستعارة والكناية تارة أخرى، وحسبك أن ترجع البصر في تلك الصور المعبرة عن فكرته الوثابة حيث يقول:

– «إنّني لا أستطيع أن أقف بارداً كالثلج، ساكنًا كالموت، أتفرّج على مآسي أُمّتي وبلادي، وانحدارِها الأليم الرهيب السريع الضياع والهلاك دون أي تأثر أو انفعال أو حراك». (2)

– «يجب أن تكون عاطفتك عميقةً كالبحر، مُتَدَفِّقَةً كالسيل، متفجّرةً كالبركان، ثم يضبطها ويوجّهها العقل. ماذا يضبط عقلُك يا تُرى إذا كنتَ خامد العاطفة والحسّ؟! وماذا يُوَجّه منك وأنت أثقلُ من صخرة عاتيّة، وأشدُّ منها سكوناً والتصاقاً بالأرض». (3)

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 256/1.
(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 53/1.
(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 153/1-154.

– ويقول مصورًا المنافق أبلغ تصوير: «إذا سمعتَه فهو قُرآن، وإذا خبرته فهو شيطان، وإذا خاصمتَه فهو ثُعْبان، أرجو ألاّ يجمعك به طريق، وألاّ تكون ضحيةً من ضحاياه، وما أكثرَ ضحاياه!». [1]

ثالثًا: السهولة المُمْتَنِعة:

تزخر أدبيَّات النقد العربي بالثناء على ذلك النمط الرفيع من البيان الذي يظن بعض الناشئة أنَّه في متناول أيديهم، فإذا ما حاولوه امتنع عليهم، فقد قيل: «أجود الكلام السهل الممتنع». [2]

ووصف الفضلُ بن سهلٍ (ت202هـ) كلام عمرو بن مَسْعَدة (ت217هـ) فقال: «هو أبلغ الناس؛ ومن بلاغته أنّ كلَّ أحد يظنّ أنه يكتب مثل كتبه، فإذا رامها تعذّرت عليه». [3]

والواقع أنَّ معظم كلماته من السهل الممتنع، وجلُّ ما مضى من اقتباسات في هذا البحث يصلح للتدليل على تلك الخصيصة اللصيقة به، لكننا نكتفي هنا بهذيْن النموذجين:

– «أعذبُ الماءِ وأطيبُه إذا سكن فسدَ وتحوّل إلى مستنقع كريه، وكذلك الإنسانُ في كلّ مجال من مجالات الحياة الروحيّة والماديّة: إذا وقف تخلّف، وإذا لم يتقدّم تأخَّر، فالحياةُ حركة، والسكونُ الفارغ البليد الكسول ضربٌ من الموت». [4]

– «إذا توهمتِ الفأرةُ نفسَها فيلًا، والحصاةُ نفسَها جبلًا، فلا تنتظر فهمًا صحيحًا، ورأيًا سديدًا، وتصرُّفًا واقعيًّا رشيدًا في أيّ أمرٍ من الأمور». [5]

هذه الكلمات وغيرها يظنُّ الغِمْر الذي لم يُجرِّب الولوج في مضايق البيان أنَّه يستطيع أن يحاكيها، وهي منه أبعد من العَيُّوق، فإذا ما حاول المحاكاة انقلب خاسئًا وهو حسير؛ لأنَّها نمطٌ من البيان العزيز الذي يحمل بَصْمَةً أسلوبيَّة ونفسية لكاتبه، ومن البعيد أن يتقمَّص أحدٌ شخصيته النفسية الزاخرة بالفضائل العزيزة، أو شخصيته الأدبية القائمة على أدوات فنية بالغة الروعة.

رابعًا: التنوُّع الأسلوبيّ:

لا ريب أنَّ امتلاك الكاتب لأدواته البيانية مكَّنه من توظيف الأساليب البلاغية على أمثل وجه، فهو لم يسلم مقاده لأسلوب معين برز فيه، بل نوَّع في الأساليب وصرَّفها ما شاءت له ذائقته البيانية من التصرف البلاغي المثير، وحسبنا ثلاثة من الأساليب التي وظَّفها توظيفًا بلاغيًّا باهرًا:

أولها: أسلوب الاستفهام، حيث تمكن الكاتب من تحميله كثيرًا من المعاني البلاغية أبرزها التعجب والإنكار، مما يمكنه من إسقاطه على كثير السلبيات التي تطوق حياتنا، كما في قوله: «كيف توقِدُ شُعْلَةَ الحماسة في النفوس إذا كانت جوانحُك لا تنطوي إلاّ على رماد؟!». [1]

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 96/2.

(2) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (1998م). **الصناعتين (الكتابة والشعر)**. تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية. ص61.

(3) العسكري، أبو هلال. **الصناعتين**. (مرجع سابق). ص61.

(4) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 43/2.

(5) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 118/2.

وقوله: «إذا كنتَ قادرًا على أن تُخَلِّق بنفسك مع الملائكة فَلِمَ تهبط بها مع الشياطين؟!». [2]

وبلاغة هذه الاستفهامات الإنكاريَّة تكمن في استثارة المتلقي ليعمل عقله بكل حرية وإرادة باحثًا عن إجابة لهذه الأسئلة المتلاحقة، ولكنه لن يجد إلا ما يدل على ضلاله وفساد موقفه، ولعله يستشعر الحرج من مُحَدِّثه فيثوب إلى رشده، ويرتدع عن غيِّه. وهذا معنى إجمالي للاستفهام الإنكاري، أما التفصيل فيحتاج إلى دراسة بلاغيَّة تقلِّب الأسلوب على كافَّة وجوهه، وتَسْتَكْنِهُ السياق ودلالاته، وهو أمر يطول في التعامل مع تلك الأساليب الثريَّة، ذلك «أنَّ التركيب تختبئ في خصائصه وأحواله إشارات ودلالات مختلفة، وأنَّ السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص مقتضياته، وكأنَّ التركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس، تعطي ألوانًا متكاثرة كلَّما أدرتها إدارة جديدة، والسياق هو القوة التي تحرِّك هذه القطعة، لتشيع من ألوانه ما يراد إشعاعه». [3]

وثانيها: أسلوب الحوار، وهو وسيلة فنية بارعة تحقق لونًا من ألوان التفاعل التواصلي بين المنشئ والمتلقي، ولذا اعتمدت عليه المسرحيات والدراما الحديثة اعتمادًا شبه كليٍّ؛ لما ينطوي عليه من متابعة مثيرة للفعل ورد الفعل، أو للمفارقة التي تكمن في أسلوب الحوار كما في المثال الذي سيأتي، والذي في آخره يكتشف المتلقي أنَّه لم يكن حوارًا حقيقيًّا، بل خيال أدبي حقق أقصى درجات الاستثارة الفنية، يقول: «قال: ما أجرأَهم وما أجبنَهم! وما أعزَّهم وما أذلَّهم! قلت: من تعني؟ قال: بعض حكّام العرب والمسلمين. قلت: إنّني لا أفهم كلامك فهو – كما يبدو لي –غامض متناقض. قال: ما أجرأَهم وأعزَّهم على أمّتهم وبلادهم! وما أجبنهم وأذلّهم في مواجهة أعداء الأمّة والبلاد». [4]

وثالثها: أسلوب النفي، وهو أسلوب يفتح عقل المتلقي على عوالم من الرفض لكثير من المواضعات الزائفة في حياتنا، ويجسد المفارقة بين الواقع والمأمول، كما نرى في قوله: «ليس أكبر المآسي في حياة الحمل الوديع أن يفترسه الذئب؛ ولكن أن يُضطرّ إلى أن يصوغ في الذئب وهو يفترسه أناشيد الثناء، وأن يشيد بمبادئه وشمائله، ورعايته لحقوق الضعفاء». [5]

وهكذا تمكَّن الأديب من توظيف هذه الأساليب البلاغية من أجل تحقيق أقصى درجات الاستثارة الفنيَّة، وإحكام الحبكة الأسلوبيَّة الجامعة بين الإقناع والإمتاع.

خامسًا: البعد عن التصنُّع:

أجرى "عصام العطار" كلماته على فطرته الأدبيَّة، زاهدًا في المحسنات البديعيَّة، نائيًا ببيانه عن الارتكاس في حمأة التصنيع الذي يثقل البيان بأصباغ زائفة لا تروق الباحثين عن الفطرة الأدبيَّة النقيَّة، كما لا يروق ذلك الحسن المجلوب بالأصباغ والمساحيق أولئك الباحثين عن الجمال الفطريِّ الرائق.

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 89/2.

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 99/2.

(3) أبو موسى، محمد محمد. (1987م). **دلالات التراكيب: دراسة بلاغية**. ط2. القاهرة: مكتبة وهبة. ص 238.

(4) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 307/1.

(5) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 228/1-229.

والملاحظة الواضحة في كلماته أنَّه يلوذ بالطباق كثيرًا؛ لأنَّه يصور التباين والفصام والمفارقات المُضْحكة المُبْكية الذي تعيشها الأمة، فشتَّان ما بين الماضي والحاضر، وما بين القول والفعل، من ذلك قوله: «ما أسهلَ الكلامَ وأصعبَ العملَ والإنجاز! وما أكثرَ المتكلمين، وأقلَّ العاملين الصادقين، وأندرَ من ينجزون ما يَعِدون، ويُتِمّون ما يبدؤون، ويصمدون إلى آخر الشوط مهما كانت الظروف!». (1)

وقوله: «هنالك ناسٌ قلوبُهم شِتاءٌ والعالَمُ من حولهم ربيع، وصقيعٌ والعالمُ من حولهم دِفْء، وظلامٌ والعالم من حولهم نور، ويأسٌ والعالم من حولهم أمل. وهنالك ناسٌ قلوبُهم ربيعٌ والعالم من حولهم شتاء، ودفءٌ والعالم من حولهم صقيع، ونورٌ والعالم من حولهم ظلام، وأملٌ والعالم من حولهم يأس. أولئك هم ليلُ البشريّة وهلاكُها، وهؤلاء هم فَجْرُها وحياتُها ورجاؤها وأداتها لحاضرٍ أرجى، وغدٍ أفضل». (2)

وبلاغة الطباق هنا لا تمكن في مجرَّد الجمع بين الضدين، كما يغرى بعض اللابسين بالجمع بين الأبيض والأسود مثلاً لفتًا لأنظار الرَّائين فحسب؛ ولكنَّها تأخذ المتلقي إلى أودية الموازنة العقليَّة بين هذه المتناقضات، واكتشاف صور التقابل ودلالاتها وكينونتها على أرض الواقع؛ لعلَّه يكتشف الخبيث من الطيب، فيزداد من الأول قُرْبًا ومن الثاني نفورًا.

سادسًا: التناصُّ التراثيُّ:

تنضح الثقافة المكتنزة منذ الصغر في عقل الأديب على إبداعه بطريقة لاشعوريَّة، وقد رأينا كيف تضلَّع "عصام العطار" بثقافة دينيَّة وأدبيَّة ولغويَّة وعامة منذ نعومة أظفاره، فليس عجيبًا أن نراه يستلهم ذلك التراث في تجاربه الإبداعية، ويوظفه توظيفًا ينسجم مع الواقع المرير، مما يمثل امتزاجًا بين الماضي والحاضر سواء على وجه التآلف أم على وجه التخالف.

ونبدأ بتناصِّه مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كثيرًا، وهو أمر غير مستغرب من داعية تضلع من زاد ثقافيّ زاخر، فهو يقتبس من القرآن الكريم في قوله: «فوزُك الحقيقيّ، أو خيبتك الحقيقيّة، ليس في هذه الدنيا، فوزُك الحقيقيّ يوم القيامة: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)». (3)

ويقتبس من الحديث الشريف مع تصرُّفه في النصّ، ربَّما لأنَّه ينقل من ذاكرته لا من كتاب أمامه، في قوله: «اجعلوا قلوبكم أيُّها الإخوة ينابيع حبٍّ، وألسنتكم وأقلامكم رُسُل حبٍّ، وروابطكم فيما بينكم روابط حبٍّ، وأقيموا حياتكم ومجتمعكم كلَّه على الحبِّ، فـ"أوثق عُرى الإيمان الحبُّ"، الحبّ الخالص الصادق في الله عزَّ وجلَّ و"لا يَحْقِرَنَّ أحدُكم من المعروف شيئًا ولو أن يلقى أخاه بوجه طليق"». (4)

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 178/1.

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 27/2.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 243/1. والنص المقتبس من سورة آل عمران، الآية 106.

(4) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 264/1. وفي النص اقتباسان من حديثين شريفين: أولهما قول النبي ρ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»، وقد رواه الإمام أحمد في **مسنده** (مرجع سابق) من حديث البراء بن عازب: 488/30 رقم 18524. وثانيهما قول النبي ρ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ، فَالْقَ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ». وقد رواه الإمام أحمد في **مسنده** (مرجع سابق) من حديث أبي ذر الغفاري: 408/35 رقم 21519.

ويأتي الشعر في المرتبة الثانية، والرجل قد تضلع منه في صباه، وجاب عصوره قديمه وحديثه، وكان يستشهد به في كثير من المواقف على البديهة كما قدمنا؛ فلا جرم أن تراه يولي وجهه شطره، ويضمَّن كلماته كثيرًا من نصوصه، ويوظِّفها في السياقات المعاصرة توظيفًا فنيًّا متميزًا، من ذلك قوله: «ماذا يفيد تقاربُ المسافاتِ إذا تباعدت القلوب؟ وماذا يضير إذا تقاربت القلوبُ تباعدُ المسافات؟

وَرُبَّ نائي المَغَانِي رُوحُه أبدًا * لَصِيقُ رُوحي وَدَانٍ لَيْسَ بِالدَّانِي**

أَرْوَاحُنا بِمَكانٍ واحدٍ وغَدَتْ * أَجْسامُنا لِشَآمٍ أَوْ خُرَاسَانِ».** (1)

ثم يأتي بعد ذلك التاريخ بأحداثه وأشخاصه، فأنت تراه يلوذ بمواقف من التاريخ المجيد كثيرًا، كأنْ يستحضر أكثر من مرة موقف الرسول في غزوة حنين؛ لأنَّنا منهزمون مبعثرون، ونحتاج إلى قائد يلم شملنا، ويأخذنا من وهدة الهزيمة إلى النصر، استمع إليه حيث يقولك: «عندما انهزمتِ الألوفُ التي اختلفتْ مقاصدُها ودوافعها، وأخذها العُجْبُ بعَدَدِها وعُدَدِها يومَ "حُنَيْن"، ثبت رسولُ الله ρ، وثبت بثباته آلُه وخواصُّ أصحابه، وثبت بثباتهم الإسلام، وتحولت بهم الهزيمة المذهلة إلى نصر مذهل. تُرى أين مَنْ يَثْبُتُ الآن في هزائمنا الماديّة والمعنويّة في كلّ مكان، وعلى كلّ صعيد، ثَباتَ محمدٍ وآله، وخواصِّ أصحابه؛ لِيَثْبُتَ بهمُ الحقّ، ويَئوبَ إليهمُ المنهزمون». (2)

ويستدعي بعض الشخصيات التاريخية البالغة الدلالة على ما تعيشه الأمة من أوجاع، كاستدعائه لخنجر "بروتس" (Brutus)، ذلك السياسيّ الرومانيّ الخائن الذي طعن سيده وربما والده "يوليوس قيصر" من الخلف طعنة مُصْمية، وما أكثر أحفاد "بروتس" في زماننا هذا الذي مَرَدَ فيه كثير من الساسة على الغدر والخيانة، فكانت عاقبة أمرهم خسرًا، بل كانت الخسائر الناجمة عن هذه الخناجر المسمومة أضعاف الخسائر التي حاقت بالمسلمين من مواجهة أعدائهم مواجهة مباشرة، يقول العطار: «إنّ خنجر "بروتُس" يستطيعُ أن يَنْفُذَ إلى مقاتلِ المسلمينَ أكثرَ من ألوفِ الخناجرِ التي تُقابلُهم وجهًا لوجه».(3)

وقِسْ على ذلك استدعائه لشخصية المتنبّي وموقفه من كافور الإخشيديّ، حيث رفض سُخْرية المتنبّي من كافور؛ لأنَّه كان أفضل ألف مرة من جلِّ الحكام المعاصرين. أو موقف المعتصم في فتح عَمُّوريَّة؛ حيث لم يعد مُعْتَصِم يرثي لشكوانا. (4)

الخاتمة

بعد أن استوت سفينة هذا البحث على الجُوديّ يطيب للباحث أن يؤكد القيمة الفنيَّة البالغة لكلمات "عصام العطَّار" خاصَّةً، ولأدبه عامَّة، فهو أديبٌ بالفطرة، وقد غذَّى هذه الفطرة بثقافة متنوعة صقلت تجربته، وحلَّقت بها في آفاق الإبداع خَطابةً وشعرًا ونثرًا.

---

(1) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 462/1. والبيتان لأبي تمام في **ديوانه**. (مرجع سابق). 335/3 مع اختلاف في الترتيب وبعض الألفاظ.

(2) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 180/1.

(3) العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 38/1.

(4) انظر هذين الموقفين في العطار، عصام. **كلمات**. (مرجع سابق). 34/1، 85.

وبعيدًا عن أهواء السياسة وتجاذباتها فإنَّ الباحث يؤكد جدارة "عصام العطار" بأن تكتب فيه رسائل علميَّة تدرس خطابته، وشعره، ونثره، سواءً من الناحية الدعوية الفكريَّة، أم من الناحية الأدبيَّة الفنيَّة، فكلٌّ من هذه الفنون له خصائصه وتجلياته في أدبه، ناهيك عن دراسة أساليبه دراسة بلاغيَّة تحلِّل كل أسلوب تحليلاً فنيًّا يكشف عن خصائصه وجمالياته. وحسب الباحث أنَّه لفت أنظار الباحثين إلى هذه القامة الأدبية الرفيعة التي ربما ألقت عليها السياسة والمحن ظلال النسيان، ولكنَّ العلم يجب أنْ يظلَّ بمعزل عن هذه التقاطعات التي لا تبقي بين الفرقاء المتناحرين سبيلاً للوئام، فالباحث الحقُّ هدفه الحقيقة، وغايته جلاء الصورة في مرآةٍ صافيةٍ لا تعرف التحديب ولا التقعير.

أهم المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

(1) إسماعيل، عزّ الدين. (2001م). **الأدب وفنونه: دراسة ونقد**. ط8. القاهرة: دار الفكر العربي.

(2) البيطار، عبد الرزاق بن حسن الدمشقي. (1993م). **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**. تحقيق: محمد بهجة البيطار. ط2. بيروت: دار صادر.

(3) التلّ، حسن. (1983م). **عصام العطَّار الزعامة المميزة**. عمَّان: دار اللواء للصحافة والنشر.

(4) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. (1987م). **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**. تحقيق: محمد عبده عزام. ط4. القاهرة: دار المعارف.

(5) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب. (2002م). **الحيوان**. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة. (سلسلة الذخائر).

(6) الجدع، أحمد عبد اللطيف، وجرار، حسني أدهم. (1981م). **شعراء الدعوة الإسلاميَّة في العصر الحديث**. ط2. القاهرة: مؤسسة الرسالة.

(7) الجدع، أحمد عبد اللطيف. (1999م). **معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين**. عمَّان: دار الضياء.

(8) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني. (2001م). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد. بيروت: مؤسسة الرسالة.

(9) حنطور، أحمد. (2008م). **فن المقال في الأدب المصري الحديث**. ط2. القاهرة: مكتبة الآداب.

(10) ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1994م). **وفيات الأعيان**. تحقيق: إحسان عباس. ط7. بيروت: دار صادر.

(11) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (2000م). **العمدة في صناعة الشعر ونقده**. تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان. القاهرة: مكتبة الخانجي.

(12) الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي. (2002م). **الأعلام**. ط15. بيروت: دار العلم للملايين.

(13) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق. (1987م). **شرح ديوان الحطيئة**. تحقيق: نعمان محمد أمين طه. القاهرة: مكتبة الخانجي.

(14) الضبي، المفضَّل بن محمد. (1983م). **أمثال العرب**. تحقيق: إحسان عباس. ط2. بيروت: دار الرائد العربي.

(15) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. (د.ت.). **العقد الفريد**. تحقيق: أحمد أمين، وآخرين. ط2. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(16) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (1998م). **الصناعتين (الكتابة والشعر)**. تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية.

(17) العطار، عصام. (1985م). **رحيل**. ط2. بون: الدار الإسلاميَّة للإعلام.

(18) _____. (1999م). **كلمات** (الجزء الأول). بون: الدار الإسلاميَّة للإعلام.

(19) _____. (2008). **كلمات** (الجزء الثاني). بون: الدار الإسلاميَّة للإعلام.

(20) قطب، سيد. (2003م). **النقد الأدبيّ أصوله ومناهجه**. ط8. القاهرة: دار الشروق.

(21) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. (1998م). **الكليات**. تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

(22) المتنبّي، أبو الطيب أحمد بن الحسين. (1944م). **ديوان أبي الطيب المتنبي**. تحقيق: عبد الوهاب عزام. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(23) المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان. (1986م). **اللزوميات**. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

(24) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم. (1993م). **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر، بيروت.

(25) أبو موسى، محمد محمد. (1987م). **دلالات التراكيب: دراسة بلاغية**. ط2. القاهرة: مكتبة وهبة.

(26) نجم، محمد يوسف. (1966م). **فن المقالة**. ط4. بيروت: دار الثقافة.

(27) نصَّار، نواف. (2007م). **المعجم الأدبي**. عمَّان: دار ورد للنشر والتوزيع.

*** المواقع الإلكترونية والحوارات:**

(28) البابطين، عبد العزيز سعود. **معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين**. على الرابط (آخر زيارة 2017/10/31م):
http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=6400

(29) العبسو، عمر محمد. **عصام العطَّار القائد الملهم والشاعر الموهوب**. مقال منشور على موقع رابط أدباء الشام على الرابط (آخر زيارة 2017/10/31م):
http://www.odabasham.net/تراجم/11842-عصام-العطار-القائد-الملهم،-والشاعر-الموهوب-

(30) العطار، عصام. **حوار مع شبكة "العربية نت"**. بتاريخ 2006/5/17م، على الرابط (آخر زيارة 2017/10/31م): http://www.alarabiya.net/articles/2006/05/10/23631.html

(31) العطار، عصام. **حوار مع "أحمد موفق زيدان" في قناة الجزيرة**. برنامج (لقاء اليوم) بتاريخ 2007/8/9م، وخلاصته على الرابط (آخر زيارة 2017/10/31م):
http://www.newscenter.news/ar/news/view/7913.html

(32) العطار، عصام. حوار مع "عزام التميمي" في برنامج (مراجعات) بقناة الحوار. على مدار سبع عشرة حلقة، وقد بُثَّت الحلقة الأولى بتاريخ 2010/6/21م، على الرابط (آخر زيارة 2017/10/31م):
https://www.youtube.com/watch?v=k4nX_KCzLw0

(33) موسوعة (Wikipedia) على الرابط (آخر زيارة 2017/10/31م):
https://ar.wikipedia.org/wiki/عصام العطار.